مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

الأمثال العقلية في القرآن الكريم وأثرها في إثبات العقائد الدينية

د. حمادة محمد سالمان

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم -مصر

مجلس النشر العلمي



جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

العدد ١٣٦ - السنة ٣٩

شعبان: ١٤٤٥هـ - مارس ٢٠٢٤م

البحث الرابع

الأمثال العقلية في القرآن الكريم وأثرها في إثبات العقائد الدينية

د. حمادة محمد سالمان

الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم- جامعة الفيوم- مصر

للاستشهاد :

سالمان، حمادة محمد. (٢٠٢٤). الأمثال العقلية في القرآن الكريم وأثرها في إثبات العقائد الدينية. *مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية*، ٣٩ (١٣٦)، ١٣٣– ١٧٠.

To cite :

Salman, H. M. (2024). Intellectual Parables in The Holy Qur'an and Their Impact On Proving Religious Beliefs. *Journal of Sharia and Islamic Studies*, *39* (136), 133- 170.

Doi: 10.34120/0378-039-136-005

الأمثال العقلية في القرآن الكريم وأثرها في إثبات العقائد الدينية

د. حمادة محمد سالمان *

تاريخ الاستلام: سبتمبر ٢٠٢٢م تاريخ الإجازة: أكتوبر ٢٠٢٢م

ملخص البحث

تدور **الفكرة الأساسية** لهذا البحث –وعنوانه «الأمثال العقلية في القرآن الكريم وأثرها في إثبات العقائد الدينية» حول قضية منهجية مهمة في القرآن الكريم، وهي إثبات العقائد الدينية من خلال ضرب الأمثال التي هي في حقيقتها دلائل ومقاييس عقلية يقينية. وتكمن **أهمية هذا البحث** في أن القرآن الكريم قد عَنِيَ عناية كبيرة بضرب الأمثال على مسائله المتنوعة، وأكثر من استخدامها في غير موضع، مبينا أنها تحتاج إلى التعقل والتفكر والتذكر؛ ولذا صرح القرآن بأنه لا يستطيع تعقل هذه الأمثال وتدبرها إلا العالمون. وتكمن **إشكالية هذا البحث** في بيان موقف القرآن الكريم من ضرب الأمثال على قضايا أصول الدين، مثل: عقيدة التوحيد والمعاد. **ويهدف البحث** إلى الكشف عن هذه الميزة المنهجية في القرآن الكريم من خلال ضرب الأمثال على عقيدتي التوحيد والمعاد، ولذا جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث: الأول– يوضح موقف القرآن من ضرب الأمثال وفوائدها، والثاني– خصصته لبيان الأمثال العقلية التي تثبت الوحدانية وتبطل الشرك، والثالث– تناول الأمثال المحسوسة على صدق المعاد، وقد اعتمدت على **المنهج التحليلي** في دراسة هذه القضية. وقد توصل البحث إلى عدد من **النتائج**، من أبرزها: أن الأمثال المضروبة على صحة التوحيد وإمكان المعاد جاءت في صورة قياس الأولى، الذي يثبت الكمال لله تعالى. وهذه الأمثال كانت واقعية، فكانت أمثال التوحيد منتزعة من أنفسنا، وأمثال المعاد مأخوذة من الواقع المشاهد؛ **ويستنتج الباحث** مما سبق أنه ينبغي إقامة العقائد على براهين يقينية؛ لأنه أبلغ في الحجاج، وأظهر في الدلالة، وأعظم في إقامة الحجة على المخالف، وأوثق في ترسيخ الإيمان بالعقائد في نفوس المؤمنين.

الكلمات المفتاحية: الأمثال في القرآن الكريم– العقائد – التوحيد– المعاد.

(*) **حمادة محمد إبراهيم سالمان**: دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية من جامعة الفيوم ٢٠١٣م، الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية جامعة الفيوم ٢٠٠٨م، الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية جامعة الفيوم ٢٠٠٣م، الترقية إلى درجة أستاذ مساعد عام ٢٠٢٠م، يعمل أستاذا مساعدا بكلية دار العلوم جامعة الفيوم، له أبحاث محكمة متنوعة في الفلسفة الإسلامية،

الاهتمامات البحثية: العقيدة الإسلامية وعلم الكلام، ومقارنة الأديان، الفلسفة الإسلامية، التصوف الإسلامي.

البريد الإلكتروني: hmi02@fayoum.edu.eg

Intellectual Parables in The Holy Qur'an and Their Impact On Proving Religious Beliefs

Dr. Hamada Mohammad Mohammad Ibrahim Salman *

Research received date : Sep 2022 Research authorized date: Oct 2022

Abstract:

This paper is devoted to examining a significant methodological **basic idea** in The Holy Qur'an, namely proving religious beliefs through the use of parables that represent certain intellectual evidence. **The importance of this research** lies in that The Holy Qur'an has paid great attention to presenting parables on its various issues, indicating that they require reason, contemplation. Therefore, The Qur'an states that only those with knowledge can understand these parables. **The problem of this research** is how the Holy Qur'an gives parables on various issues of the fundamentals of religion, such as: the doctrine of monotheism and resurrection. **Therefore, the aim of this paper** is to reveal this methodological feature in the Holy Qur'an through giving parables on the doctrines of monotheism and resurrection. Accordingly, this study consists of three sections. The first section clarifies the how the Qur'an uses parables and their benefits. The second is devoted to explaining intellectual parables that prove Monotheism. The third is devoted to elucidating tangible parables of the veracity of the Resurrection. The adopted approach in this study is the **analytical approach**. The study reached **a number**

(*) Associate Professor in the Department of Islamic Philosophy - Faculty of Dar Al Uloom, Fayoum University, Egypt.Email: hmi02@fayoum.edu.eg

of results, such as: that the parables used to prove the monotheism and Resurrection came in the form of syllogism, which proves the perfection of Allah. In addition, the given parables were realistic, extracted from ourselves, and taken from the observed reality. **Therefore the researcher sees** that This is more eloquent among evidences, greater in establishing the argument against any opponents, and more reliable in strengthening faith.

Keywords: Parables in The Holy Qur'an; beliefs; Monotheism; Resurrection.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فإنه لما كان القرآنُ الكريمُ كتابَ هدايةٍ وإرشاد وبيان للحق للناس، فصلَّ اللهُ للناس في هذا الكتاب كل شيء، وبيَّنه بيانا واضحا شافيا كافيا، وأقام الأدلة والبراهين المقنعة الواضحة على ذلك، حتى لا يكون للناس عذر أو حجة فيما خالفوا فيه.

أهمية البحث:

لما كانت العقائد الإيمانية هي أصل الدين وأساسه وعليها مدار العلوم الشرعية الأخرى، اعتنى القرآن الكريم كثيرا بتفصيلها والبرهنة عليها بالبراهين الشرعية والعقلية معا، فتحدث عن إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته وإثبات الرسل وإثبات المعاد، وغيرها من العقائد، ونصب الأدلة والبراهين على صحة هذه الأصول والأركان.

وهذا ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ذكر أن أصول الدين من التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد وكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل قد بيَّنه اللهُ ورسولُه بيانا شافيا قاطعا للعذر؛ إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلا غ المبين وبيَّنه للناس، وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده، وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب[1].

والحديث عن أصل الدين وأركان العقيدة هو موضوع كل عصر، لأنه لا يخلو زمانٌ من مُنْكِرٍ وجاحدٍ لوجود الإله جل جلاله، أو مشركٍ بالله تعالى عابدٍ لغيره، أو منكرٍ للرسل والرسالات، أو جاحدٍ للبعث والنشور وما يتعلق باليوم الآخر.

ولهذا فإن دعوة الأنبياء عموما ركزت على هذه الجوانب الأصولية العقدية، من التوحيد والنبوة والمعاد، من خلال إقامة الدلائل العقلية البينة عليها، وأكثرهم اهتماما بها سيدنا محمد ﷺ، يقول الفخر الرازي: «وأما محمد عليه الصلاة والسلام فاشتغاله بالدلائل على

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، (المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م) ط.٢، ١/ ٢٧– ٢٨.

التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من أن يحتاج فيه إلى التطويل، فإن القرآن مملوء منه، ولقد كان عليه السلام مبتلى بجميع فرق الكفار»[1].

ومن أبرزِ الدلائلِ والبراهينِ الشرعيةِ العقليةِ التي تضمنها القرآن الكريم الأمثالُ العقليةُ، فقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الأمثال التي تثبت التوحيد والمعاد وغيرهما من مسائل أصول الدين، وقد عرضها القرآن الكريم في أسلوب بليغ مقنع يوافق العقول الصحيحة والفطر السليمة ويقيم الحجة عليها، وقد عدها بعض العلماء أحد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

هناك عدة تساؤلات يحاول الباحث الإجابة عنها في هذا البحث، وهي:

١- ما الفائدة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم؟ وما علاقته بالعقل؟

٢- ما أهم المجالات التي ورد فيها ضرب الأمثال في القرآن الكريم؟

٣- ما موقف القرآن الكريم من الاستدلال بالأمثال على العقائد؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث وعنوانه "الأمثال العقلية في القرآن الكريم وأثرها في إثبات العقائد الدينية" إلى ما يلي:

١. إبراز الفوائد من ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

٢. الكشف عما تحويه الأمثال القرآنية من دلائل عقلية يقينية على إثبات وحدانية الله تعالى ونفي الشريك عنه، وهي أمثال واقعية يحياها الإنسان ويشاهدها في نفسه، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨].

٣. بيان ما تضمنته الأمثال القرآنية من دلائل عقلية يقينية على إثبات المعاد والبعث والرد على منكريه، وهي أمثال واقعية محسوسة مشاهدة، يشاهدها الإنسان ويراها في حياته بأم عينه؛ حتى يكون إيمان الإنسان بهذه الأصول مبنيا على اليقين والإقناع العقلي؛

(١) مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م) ط.١، ٢/ ٨٢.

فتذهب شكوكه وتتبدد أوهامه، وتزول ريبته، وتنحل عقده وشبهاته.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات العلمية التي اهتمت بالحديث عن الأمثال في القرآن الكريم، ومنها:

١- «الأمثال في القرآن الكريم» د. محمد جابر فياض، (ط ٢، ١٩٩٥م)، وقد اهتمت هذه الدراسة بالأمثال المتعلقة بـ: تمثيل الجنة، تمثيل الحياة الدنيا، تمثيل المنفقين ونفقاتهم، وعقد مقارنة بين أمثال القرآن والأمثال الواردة في العهدين القديم والجديد.

٢- ولم يتناول صاحب هذا العمل أي مثل يتعلق بأصلي التوحيد والمعاد.

٣- «الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم»، تأليف سميح عاطف الزين، (ط ٢، ٢٠٠٠م)، وهي دراسة شاملة موسعة تتناول الأمثال في القرآن الكريم، وقد اهتم صاحبها بالإشارة إلى جميع الأمثال في القرآن وعرض الآيات التي تشتمل على مادة (مثل)، غير أنه لم يركز على إبراز ما تتضمنه الأمثال من دلائل وإشارات عقلية حجاجية لإثبات العقائد الدينية، وهذا ما ستهتم به دراستنا هذه.

ما يضيفه هذا البحث:

١- بيان علاقة ضرب الأمثال بالعقل.

٢- إبراز اهتمام القرآن الكريم بضرب الأمثال على عقيدة التوحيد.

٣- دراسة الأمثال المتعلقة بعقيدة المعاد.

٤- بيان الجانب العقلي في الأمثال المضروبة على أصلي التوحيد والمعاد.

حدود البحث:

اقتصرتُ في هذا البحث على الأمثال المتعلقة بعقيدتي التوحيد والمعاد، وذكرت الأمثال التي جاء ضرب المثل فيها صريحا ومشتملا على أداتي التمثيل: (مثل، الكاف).

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل الأمثال القرآنية، وبيان ما تشتمل عليه من دلائل عقلية على أصول الدين وبخاصة التوحيد والمعاد.

خطة البحث:

يتكوَّن هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب دراسته والدراسات السابقة

والمنهج المتبع في البحث وخطة البحث. بينما خصصت التمهيد للتعريف بالمثل لغة واصطلاحا، وبيان فائدة ضرب الأمثال عامة.

أما المبحث الأول وعنوانه "الأمثال في القرآن الكريم" فقد تحدثت فيه عن موقف القرآن من ضرب الأمثال وفوائد ضرب الأمثال في القرآن وعلاقة الأمثال بالعقل واشتمال القرآن الكريم على الأمثال المثبتة للعقائد والأصول الدينية.

وتناولت في المبحث الثاني –وعنوانه "أثر الأمثال العقلية في إثبات عقيدة التوحيد"– الأمثال العقلية الدالة على الوحدانية ونفي الشريك عن الله تعالى، وأوضحت فيه أنها أمثال من واقع حياة الإنسان ومنتزعة من نفسه. وجاء المبحث الثالث بعنوان "أثر الأمثال العقلية في إثبات عقيدة المعاد" لبيان ما تشتمل عليه الأمثال من دلائل وبراهين على صحة عقيدة المعاد، وبينت أن هذه الأمثال مأخوذة من الواقع المشاهد.

أما **الخاتمة** فقد تضمنت أهم نتائج البحث.

تمهيد
مفهوم المثل وفوائده
أولا
تعريف المثل: لغة واصطلاحا

المثل لغة:

المَثَل في أصل كلام العرب بمعنى المِثْل والمثيل، كشِبْه وشَبَه وشبيه، وهو النظير، ويجمع المَثَل والمِثْل على أمثال. قال اليزيدي: الأمثال: الأشباه، وأصل المثل الوصف، هذا مثل كذا، أي وصفه مساوٍ لوصف الآخر بوجه من الوجوه. والمثل: القول السائر الذي فيه غرابة من بعض الوجوه. وقيل: المثل ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس، يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء ليصير في الذهن مساويا للأول في الظهور من وجه دون وجه[(١)]، والمثل أَعمّ الأَلفاظ الموضوعة للمشابهة[(٢)].

والمثل: الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه، والمَثَل مأْخوذ من المِثال والحَذْوِ، ويقال: تمثَّل فلانٌ، ضرب مَثَلا، وتَمَثَّلَ بالشيء ضربه مَثَلا، وقد يكون المثل بمعنى العِبْرَةِ، ويكون أيضا بمعنى الآية[(٣)].

وقال الخفاجي: سُمِّيَ مثلا؛ لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبدا، أي: شاخص؛ فيتأسى به، ويتعظ ويخشى ويرجو[(٤)].

يتضح مما سبق أن لفظة «المَثَل» قد تعددت معانيها في لغة العرب، فتشير إلى المعاني الآتية: المثيل والمِثْل والنظير والشبيه والوصف والقول الغريب والعبرة والآية. وهي في مجملها تدل

(١) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي، (لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م) ط .١، ١/ ٢٠٧، محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر) ط.١، مادة (مثل)، ١١/ ٦١٠، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (مكتبة نزار مصطفى الباز)، ٢/ ٥٩٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٢/ ٥٩٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مثل)، ١١/ ٦١٠.

(٤) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: مكتبة دار التراث)، ١/ ٤٨٧.

على التشابه والاعتبار والعظة. والمعنى المراد في البحث هو الذي يشير إلى المشابهة.

المثل اصطلاحا:

عرف الراغب الأصفهاني المثل بأنه "عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبيِّن أَحدهما الآخر، ويصوّره[١].

وعرفه ابن القيم بأنه «تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر»[٢].

يتضح من هذين التعريفين أن المثل مبني على المشابهة والربط بين شيئين؛ لبيان الخفي من خلال مشابهته للجلي في حكمه، وقياسه عليه وتقريبه للمستمع أو المتلقي، وهذا يتطلب عملا عقليا واجتهادا في تلمس أوجه الشبه والاتفاق لبناء الأمثلة وضربها.

ثانيا- فائدة ضرب الأمثال:

يذكر الرازي أن ضرب الأمثال من الأمور المستحسنة في العقول، ويدلل على ذلك بثلاثة وجوه: الأول- إطباق العرب والعجم على ضرب الأمثال. الثاني- أن الله تعالى ضرب الأمثال في إنجيل عيسى عليه السلام. الثالث- أن من طبع الخيال المحاكاةَ والتشبهَ، فإذا ذُكِر المعنى وحده أدركه العقل، ولكن مع منازعة الخيال، وإذا ذُكِر معه الشبهُ أدركه العقل مع معاونة الخيال، وهذا أكمل، كما أن الإنسان يذكر معنى ولا يلوح له كما ينبغي، فإذا ذكر المثال اتضح وصار مبينا مكشوفا[٣].

وقد اعتنى العرب كثيرا بضرب الأمثال في كلامهم؛ لما له من فوائد عظيمة في توضيح المراد وبيان مقصد المتكلم، يقول الزمخشري: «ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٢/ ٥٩٦.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ)، ط.١، ٢/ ٢٧٠.

(٣) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ١٢٣- ١٢٤.

تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي»[(١)].

وللأمثال أيضا «موقعٌ في الأسماعِ وتأثيرٌ في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة»[(٢)].

ونلاحظ في هذين النصين فوائد عدة لضرب الأمثال بصفة عامة، منها:

١- إبراز المعاني الخفية للكلام وتوضيحه وتجلية حقائقه.

٢- صبغ الكلام بصبغة التحقيق واليقين والمعاينة.

٣- إلزام الخصم وغلبته بالحجة

٤- التأثير الشديد في الأسماع والقلوب.

٥- شدة تعلق النفس بها وثقة القلب بها وموافقة العقل لها.

ومن أجمل ما قيل في شأن التمثيل وضرب الأمثال وأثرها وأهميتها قولُ الجرجاني: "واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفا»[(٣)].

فالأمثال تُكسب الكلام رونقا وجمالا، وترفع منزلته بين غيره من الأساليب، وتزيد من قوة المعنى في تحريك النفس وإثارتها نحو المراد، وتستثير القلوب تجاهه، وتجبر الطباع وتقسرها على محبة الكلام والشغف به والتأثر به، فتأنس النفس به وتشتاق إلى سماعه وتتعلق بما ورد فيه.

ولن تؤتي الأمثال ثمرتها وأكلها وتحقق أهدافها وفوائدها وتؤثر في سامعيها إلا إذا

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ١/ ١٠٩، وانظر: بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، (دار سوزلر، ٢٠٠٢م) ط.٣، ص ٢٠٩.

(٢) أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٥م-١٤٠٥ه)، ط.٤، ص ٢٩٤.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني)، ص ١١٥.

تحققت فيها مجموعة من الشروط، حصرها الماوردي في أربعة: الأول- صحة التشبيه. الثاني: أن يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا. والثالث: أن يسرع وصولها للفهم، ويتصورها الوهم، من غير ارتياء في استخراجها ولا كد في استنباطها. والرابع: أن تناسب حال السامع؛ لتكون أبلغ تأثيرا وأحسن موقعا. فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة، كانت زينة للكلام، وجلاء للمعاني، وتدبرا للأفهام[(١)].

المبحث الأول
الأمثال في القرآن الكريم

إن الناظر في القرآن الكريم نظرة تدبر وتفكر وتفقه وتعقل يلاحظ بوضوح تام اهتمام القرآن الكريم بضرب الأمثال للناس، فهو أحد الأوجه التي نزل عليها القرآن، فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال[(٢)].

وقد أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله (ﷺ) وكلام الأنبياء والحكماء، ومن سور الإنجيل سورة الأمثال[(٣)]، وقد جعلها الله من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه؛ لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة[(٤)].

فالله سبحانه وتعالى قد ضرب الأمثال للناس، ودل عباده على الاعتبار بذلك، وعبورهم من الشيء إلى نظيره واستدلالهم بالنظير على النظير، بل هذا أصل عبارة الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة ونوع من أنواع الوحي، فإنها مبنية على القياس والتمثيل واعتبار

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٤.

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق : محمد السعيد بسيوني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ه) ط.١، باب في تعظيم القرآن، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب، حديث رقم ٢٢٩٣. وقد حكم عليه الألباني بأنه «ضعيف جدا». انظر: السلسلة الضعيفة، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع)، ط ١، حديث رقم (١٣٤٦) ٣/ ٥٢٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ١/ ١٠٩، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٨، الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ١٢٣، ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٤٨، النورسي، إشارات الإعجاز، ص ١١٣، وقد ذكر النورسي أن القرآن الكريم قد أكثر من التمثيلات إلى أن بلغت الألف.

(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٤.

المعقول بالمحسوس[1].

وقد أكد علماء الإسلام وشيوخه على أهمية معرفة ضرب الأمثال، فنجد الماوردي يعده ضمن علوم القرآن، حيث يقول: «من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه؛ لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل، كالفرس بلا لجام، والناقة بلا زمام»[2]؛ وعده الإمام الشافعي مما يجب معرفته من جماع علم كتاب الله، فعندما عدد العلوم والمعارف التي يتضمنها علم كتاب الله ذكر منها معرفة أمثاله، فقال: «ثم معرفة ما ضرب فيها من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب معصيته»[3].

ولما كان الغرضُ والمرادُ من كتاب الله تعالى الإيضاحَ والبيانَ؛ لإقامة الحجة على العباد، فقد وجب ذكرُ التمثيل فيه؛ لما في التمثيل من زيادة البيان والوضوح[4].

أقسام الأمثال:

اختلف العلماء فيما بينهم في تقسيم الأمثال، فظهر عندنا نوعان من التقسيم:

الأول- تقسيمها بحسب دلالتها ووظيفتها، وقد قسمها أبو عبد الله البكراباذي إلى أربعة أوجه: أحدها- إخراج ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع عليه، وثانيها- إخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة، وثالثها- إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، ورابعها- إخراج ما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة[5].

النوع الثاني -تقسيم الأمثال القرآنية من حيث اشتمالها على الأداة، وقد قسمها السيوطي إلى قسمين: الأول- ظاهر مصرح به، والآخر كامن لا ذكر للمثل فيه[6].

وهذا النوع الثاني من التقسيم هو الذي سيكون عليه مدار هذا البحث.

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٣٢٣.
(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ٤/ ٤٤.
(٣) الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، (مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد، ١٣٧٥هـ- ١٩٣٨م)، ط ١، ص ٤١، وانظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٦.
(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ١٢٤.
(٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٦.
(٦) الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ٤٦.

فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

ضربُ الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة، يمكن توضيحها في النقاط الآتية:

١- التذكير والوعظ والحث والزجر(١)؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الزمر: ٢٧؛ لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير(٢)، فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان(٣).

٢- التفكر والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل(٤)، فالله يضرب الأمثال للناس؛ ليقع لهم العبرة والنظر المؤدّي إلى الإيمان(٥).

٣- تصوير الشيء في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس(٦)؛ وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة، وانطبق المعقول على المحسوس، وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب(٧)، فإبراز المعقول في هيئة المحسوس وتصويره بصورته يزيده وضوحا وبيانا(٨).

٤- تنبيه العقول وإيقاظها، فكم في القرآن من مثل عقلي وحسي ينبه به العقول على حسن ما أمر به وقبح ما نهى عنه، فلو لم يكن في نفسه كذلك لم يكن لضرب الأمثال للعقول معنى، ولكان إثبات ذلك بمجرد الأمر والنهي دون ضرب الأمثال، وتبيين جهة القبح المشهودة بالحس والعقل، والقرآن مملوء بهذا لمن تدبره(٩).

٥- تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان؛

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٦، السيوطي، الإتقان، ٤/ ٤٥.
(٢) الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٥١٩، الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ٩٥.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) ط.٢، ٧/ ٩٦.
(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٦- ٤٨٧، السيوطي، الإتقان، ٤/ ٤٥.
(٥) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٤٢١.
(٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٦- ٤٨٧، السيوطي، الإتقان، ٤/ ٤٥.
(٧) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ٩٥.
(٨) الشوكاني، فتح القدير، (دمشق: دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ) ط ١، ٤/ ٤٠.
(٩) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م) ط ٢، ١/ ٢٤٠.

لأن الأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت فى الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند السامع(١).

٦- تقريب المراد والكشف عن المعنى، فالأمثال والتشبيهات هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام(٢)، وهي شواهد المعنى المراد ومزكية له(٣).

فالأمثال التي ضربها الله تعالى وضربها رسول الله ﷺ لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتسرع في قبولها وتنقاد لما ضرب لها مثله من الحق، وهذا أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت له الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا(٤).

٧- تقرير المقصود، ففي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب، فالمرغب في الإيمان مثلا إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود، والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه(٥).

٨- بيان الحق وتوضيحه، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي قد بينا لهم الحق، ووضحناه لهم، وضربنا لهم فيه الأمثال ليتبينوا الحق ويتبعوه(٦).

٩- التأثير في القلوب، فالمثل يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، لأن الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقاً للعقل(٧)، وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٧- ٤٨٨، السيوطي، الإتقان، ٤/ ٤٥.
(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٤٥٩، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٧/ ١٤٩.
(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٤٢٥.
(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٤٢٥.
(٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٨٨.
(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦/ ٣٢٨.
(٧) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ١/ ٢٠٧، الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٦٦.

الإيمان مجردا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور(١).

١٠- التمييز بين الحق والباطل، فالله تعالى بيّن في كتابه من الأمثال المضروبة والمقاييس العقلية ما يعرف به الحق والباطل(٢).

علاقة ضرب الأمثال بالعقل:

رأينا فيما سبق أن من فوائد ضرب الأمثال أنها تفيد التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل وتصويره، وهذه كلها وظائف عقلية، ولذا قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، أي: لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم(٣).

فدلت الآية السابقة على أن الواجب على الناس تعقل الأمثال المضروبة وتدبرها؛ فإذا لم يتدبرها الإنسان فقد غفل عن الهدف الأساسي من ضربها؛ ولذا قال بعض السلف: إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله قال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [االعنكبوت: ٤٣](٤).

وهذا الأمر يتناسب مع موقف القرآن الكريم الإيجابي من العقل، فقد خاطب القرآن الكريم العقل وأعلى من شأنه وتآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل(٥).

وقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع من كتبه أن الأمثال المضروبة الدالة على توحيد الله تعالى وصدق رسله وإثبات صفاته وعلى المعاد كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية وهي مع ذلك شرعية(٦). ويقول أيضا: «الأمثال

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٦٦.

(٢) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، حققه: الشيخ عبد الصمد الكتبي، راجعه: محمد طلحة، قدم له: د. سيد سليمان الندوي، (مؤسسة الريان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) ط ١، ص ٣٧٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٤٥٩.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٠٨.

(٥) محمد عبده، رسالة التوحيد، تصدير: د/ عاطف العراقي، (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٠م)، ص ٨.

(٦) ابن تيمية، درء التعارض، ١/ ١٩٩، بيان تلبيس الجهمية، ٢/ ١٣٣، ابن القيم، مدارج السالكين، ٣/ ٤٩٢.

المضروبة هي القياسات العقلية[1]».

وتابعه في ذلك تلميذه ابن القيم، فقد ذكر أن الأمثال هي الأدلة العقلية، وقد خاطب الله العباد بذلك خطاب من استقر في عقولهم وفطرهم حسن التوحيد ووجوبه وقبح الشرك وذمه، والقرآن مملوء بالبراهين العقلية الدالة على ذلك كقوله ضرب الله مثلا رجلا[2].

بل إنه يؤكد أن الأمثال هي خاصة العقل ولبه وثمرته[3]، ولهذا أكثر الله تعالى منها في القرآن، ونفى عقلها عن غير العلماء[4].

وقد عدَّ ابن تيمية اشتمال القرآن الكريم على الأمثال والمقاييس العقلية أحد وجوه إعجازه، وفي هذا الصدد يقول عن القرآن الكريم إنه: «آية بينة معجزة ... ومن جهة ما بُيِّنَ فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون[5]، ووافقه في ذلك النورسي فذكر أن أساس إعجاز القرآن الكريم في بلاغة نظمه، ومن أهم أقسامِ بلاغةِ النظم التمثيلُ[6].

وضرب الأمثال وتعقلها منهج الرسل أيضا في الدعوة إلى الله تعالى، فالرسل ضربت للناس الأمثال العقليه التي يعرفون بها التماثل والاختلاف، وأرشدتهم إلى الأقيسة العقلية الصحيحة التي يستدل بها على المطالب الدينية، وضربت الأمثال فكملت بذلك الفطرة، حتى صار عند الفطرة معرفة الميزان التي أنزلها الله وبينها رسله[7]، كما أن الرسول ﷺ يخبر بالحق ويقيم عليه الأدلة العقلية البرهانية ومنها الأمثال المضروبة في الكتاب والسنة الموصلة إلى معرفته[8].

اتضح لنا فيما سبق أن ضرب الأمثال هو أحد أنواع البراهين والمقاييس العقلية التي

(١) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ٢/ ١٣٣.
(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ٣/ ٤٨٨.
(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٤٢٥، ٢٤٨، مدارج السالكين، ١/ ١٤٠.
(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ١/ ١٤٠.
(٥) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤ه) ط ١، ٥/ ٤٢٨.
(٦) إشارات الإعجاز، ص ١١٣.
(٧) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص ٤٢٧.
(٨) ابن تيمية، درء التعارض، ٣/ ٣٠٥.

اشتمل عليها القرآن الكريم في إثبات المطالب الدينية، وفي هذا رد على المستشرق «تنمان» الذي زعم أن القرآن الكريم قد وقف حجر عثرة أمام النظر العقلي لدى المسلمين، ومنع من إعمال العقل وأعاق النظر العقلي الحر، وقاوم الممارسة الحرة للفهم والتعقل والإدراك(١).

فالقرآن الكريم قد كفل حرية التفكير والتعقل، وكان من مظاهر ذلك ازدهار الحضارة والمدنية الإسلامية، ولما تأثرت أوربا بالإسلام في هذا الجانب ظهر فيها التحضر والتمدن والتقدم، غير أنها كانت بعيدة عن الدين.

وفي هذا السياق يقول محمد عبده: «تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما استقلال الإرادة واستقلال الرأي والفكر وبهما كملت له إنسانيته،...، وقد قال بعض حكماء الغربيين من متأخريهم إن نشأة المدنية في أوربا إنما قامت على هذين الأصلين»(٢).

ضرب الأمثال على العقائد:

لا شك أن البحث والكلام في أصول الدين وعقائده هو أفضل الكلام وأحسنه، وهذا مترتب على شرف هذا العلم وفضله بين العلوم الشرعية، بل هو أشرف العلوم على الإطلاق(٣)، وقد حصر الرازي شرف علم أصول الدين وفضله في الوجوه الآتية(٤):

أحدها- أن شرف العلم بشرف المعلوم، فلما كان أشرف المعلومات ذات الله تعالى وصفاته، وجب أن يكون العلم المتعلق به أشرف العلوم.

ثانيها- أن العلم الديني أشرف من غير الديني وأما العلم الديني فإما أن يكون هو علم الأصول أو ما عداه، أما ما عداه من التفسير والحديث والفقه وغيرها فإنه تتوقف صحته على علم الأصول، وعلم الأصول غني عنها، فوجب أن يكون علم الأصول أشرف العلوم.

ثالثها- أن شرف الشيء قد يظهر بواسطة خساسة ضده، وضد علم الأصول هو الكفر

---

(١) مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، تقديم: محمد حلمي، (دار الكتاب المصري، ٢٠١١م)، ص ١٠

(٢) محمد عبده، رسالة التوحيد، ص ١٦١.

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٨، ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار التراث)، ص ١١.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٧٩- ٨٠.

والبدعة، وهما من أخس الأشياء، فوجب أن يكون علم الأصول أشرف الأشياء.

رابعها– أنه أشرف العلوم لشرف موضوعه، فموضوعه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله.

خامسها– أنه أشرف العلوم لأجل شدة الحاجة إليه في الدين وفي الدنيا.

سادسها– أنه أشرف العلوم لقوة براهينه، فبراهين هذا العلم يقينية إقناعية.

سابعها– أن هذا العلم لا يتطرق إليه النسخ ولا التغيير ولا يختلف باختلاف الأمم.

ثامنها– أن الآيات المشتملة على مطالب هذا العلم أشرف من الآيات المشتملة على المطالب الفقهية

تاسعها– أن الآيات الواردة في بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين أكثر من الآيات الواردة في الأحكام الشرعية الفقهية.

فثبت أن هذا العلم مشتمل على جميع جهات الشرف والفضل، فوجب أن يكون أشرف العلوم.

ويلاحظ من وجوه فضل علم أصول الدين السابقة أن براهينه يقينية مقنعة، فالله سبحانه وتعالى بيّن من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من العلماء على مثله، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه، وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله في كتابه التي قال فيها: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزمر: ٢٧]، فإن الأمثال المضروبة هي الأقيسة العقلية[(١)].

فالأمثال العقلية التي ضربها الله للناس في القرآن هي أحد نوعي دلالة القرآن على المسائل والأحكام والأصول[(٢)].

والاستدلال بالأمثال والبرهنة والاحتجاج بها له تأثير عظيم في نفوس المتلقين

(١) ابن تيمية، درء التعارض، ١/ ٢٨– ٢٩.

(٢) ذكر الإمام ابن تيمية أن دلالة القرآن على الأمور نوعان، أحدهما– خبر الله الصادق، والثاني– دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب. فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها، وأرشد إليها. وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل، فيصير الشيء ثابتا بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى الدلالة الشرعية. انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، (لجنة التراث العربي)، ٥/ ٤٠.

والسامعين، وفي هذا الصدد يقول الجرجاني: «وإن كان [أي التمثيل] حِجاجا، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر»[1].

فعندما يكون التمثيل دليلا وبرهانا وحجة، يكون برهانا كاشفا منيرا، وسلطانا مقنعا قاهرا للمخالف، وحجة بينة باهرة.

وهذه الأمثال التي ضربها الله تعالى لعباده قد تنوعت مجالاتها، ما بين الثواب والعقاب ووصف الجنة ووصف أحوال الناس، وإثبات التوحيد وصدق الرسل وصحة المعاد، ومن أعظمها الأمثال التي ضربها الله تعالى للتدليل على توحيده وصدق رسله[2] وعلى المعاد.

فالله تعالى قد ضرب تعالى للناس في القرآن من كل مثل، وبيّن بالأقيسة العقلية المقبولة بالعقل الصريح من المطالب الإلهية والمقاصد الربانية ما لا تصل إليه آراء المتكلمين وغيرهم في المسائل والوسائل، وفي الأحكام والدلائل[3].

وينبغي أن تكون هذه الطريقة هي طريقة المسلمين في مقام الدعوة إلى الله والبيان لأحكام الشرع وأصوله، فيجب على الداعي أن يبين الحق الذي جاء به الرسول بالأقيسة العقلية والأمثال المضروبة، فهذه طريقة الكتاب والسنة وسلف الأمة، فإن الله سبحانه وتعالى ضرب الأمثال في كتابه، وبيّن بالبراهين العقلية توحيده وصدق رسله وأمر المعاد، وغير ذلك من أصول الدين، وأجاب عن معارضة المشركين[4].

يتضح مما سبق أن القرآن الكريم قد اشتمل على الأدلة والبراهين العقلية ومنها الأمثال الدالة على أصول الدين وأسسه للناس جميعا المؤمن والكافر، ليزداد المؤمن إيمانا وبصيرة، ويقيم الحجة الواضحة القاطعة على الكافر؛ ولذا يجب على الدعاة التأسي بمنهج القرآن الكريم في مجادلة المخالفين وبيان الحق لهم والاقتداء بأسلوبه الواضح البين، والإفادة من المنهج القرآني في علاج المشكلات العصرية من الإلحاد وإنكار الرسل والبعث وغيرها مما تعج به الساحة الفكرية الآن.

---

(١) أسرار البلاغة، ص ١١٥.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٤، ٢٦٨.

(٣) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، حققه: د. رشيد حسن، (مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ)، ٢/ ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) ابن تيمية، درء التعارض، ١/ ٢٣٥- ٢٣٦.

وسوف أقتصر على عرض بعض الأمثال القرآنية المضروبة في إثبات التوحيد والمعاد، لبيان كيف عالج القرآنُ بمنهجٍ وأسلوبٍ عقلانيٍّ إقناعيٍّ مظاهرَ الشرك والوثنية وإنكار البعث والمعاد، لمحاولة الإفادة من ذلك في مواجهة هذه المشكلات – القديمة الجديدة– في عصرنا الحالي.

المبحث الثاني
أثر الأمثال العقلية في إثبات عقيدة التوحيد

إن المتأمل المتدبر لكتاب الله عز وجل، يجد أن الله سبحانه وتعالى قد ضمن كتابه العزيز فيما أخبر به عن نفسه وأسمائه وصفاته من الأدلة والآيات والأقيسة التي هي الأمثال المضروبات ما يبين ثبوت المخبر بالعقل الصريح(١).

ولما كان التوحيد هو رأس الدين وأصله(٢)، وهو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل؛ ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله(٣)، لما كان ذلك كذلك، فقد أكثر الله تعالى من ذكر الأمثال والأقيسة العقلية على هذا الأصل الذي يُبنى عليه غيرُه من الأصول والعقائد؛ ولهذا ضرب الله سبحانه الأمثال وهي الأدلة العقلية، وخاطب العباد بذلك خطاب من استقر في عقولهم وفطرهم حسن التوحيد ووجوبه وقبح الشرك وذمه، والقرآن مملوء بالبراهين العقلية الدالة على ذلك(٤).

ومن الأمثال العقلية على عقيدة التوحيد ونفي الشريك عن الله تعالى:

المثل الأول– قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾[النحل: ٧٥]

(١) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ٢/ ١٣٥.

(٢) ابن تيمية، درء التعارض، ٩/ ٣٧٨. ولمكانة عقيدة التوحيد العظيمة بين العقائد الإسلامية وأهميتها فقد أطلق بعض العلماء على علم العقيدة مصطلح «علم التوحيد»، وألفوا مصنفات تحمل هذا العنوان، مثل: التوحيد لابن خزيمة، التوحيد لابن منده، التوحيد للماتريدي، رسالة التوحيد لمحمد عبده وغيرها، يقول ابن القيم: «سمى السلف كتبهم التي صنفوها في السنة وإثبات صفات الرب وعلوه على خلقه وكلامه وتكليمه توحيدا». مدارج السالكين، ١/ ٢٦.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ١٩– ٢٠.

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ٣/ ٤٨٨، وانظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ٢٥.

قال الرازي عند تفسيره هذا المثل: اعلم أنه تعالى أكد إبطال مذهب عبدة الأصنام بهذا المثال[1].

وقال مجاهد: هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى، فهل يستوي هذا وهذا ؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهرا واضحا بينا لا يجهله إلا كل غبي، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾[2]. وتفسير هذا المثل: أن الله لما زجر المشركين عن أن يشبهوه بخلقه أو أن يشبهوا الخلق بربهم، أعقبهم بتمثيل حالهم في ذلك بحال من مثل عبدا بسيده في الإنفاق، فشبه حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرف في نفسه ولا يملك مالا، وشبه شأن الله تعالى في رزقه إياهم بحال الغني المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، والمقصود نفي المماثلة بين الحالتين، فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله تعالى في الإلهية، ولذلك أعقب بجملة ﴿هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾[3].

وصريح العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بين هذين الرجلين في التعظيم والإجلال، وإذا لم تجز التسوية بينهما مع استهوائهما في الخلقة والصورة والبشرية، فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله القادر على الرزق والإفضال وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر ألبتة[4]، فإذا كان هذان الرجلان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد، ومشتركين في الإنسانية، فكيف تشركون بالله وتسوون به من مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره، مع تباين الأوصاف[5].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المثل مضروب في حق الكافر والمؤمن، ولكن القول الأول أقرب؛ لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها إنما ورد في إثبات التوحيد وفي الرد على القائلين بالشرك، فحملُ هذه الآية على هذا المعنى أولى[6]. فإنه أظهر في بطلان الشرك وأوضح عند

(١) مفاتيح الغيب، ٢٠/ ٦٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٥٨٨، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٥٠٣، ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ط ١، ١٣/ ١٧٩-١٨٠.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠/ ٦٨.

(٥) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٥٠٣.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠/ ٦٨، ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٣.

المخاطب وأعظم في إقامة الحجة وأقرب نسبا بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ النحل: ٧٣، ثم قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾[١].

ويرى ابن تيمية أن هذا المثال فيه إثبات لصفة الوحدانية بقياس الأولى، وبيانه: أن كل كمال في العبد فإنما استفاده من ربه وخالقه، فإذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له، كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد، فإذا علم انتفاء التساوي بين الكامل والناقص، وعلم أن الرب أكمل من خلقه، وجب أن يكون أكمل منهم وأحق منهم بكل كمال بطريق الأولى والأحرى[٢]، والآية السابقة تبين أن المملوك العاجز صفة نقص، وأن القدرة والملك والإحسان صفة كمال، وأنه ليس هذا مثل هذا، وهذا لله، وذاك لما يُعبَدُ من دونه[٣].

وقد بيّن ابن القيم أن برهان الأولى في هذه الآية جاء على صورة قياسِ عكسٍ يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه[٤]، أي نفي الإلهية عما يُعبدُ من دون الله؛ لانتفاء صفات الإلهية عنه من القدرة والغنى وإنزال الرزق.

ونلاحظ في المثل السابق عدة أمور:

١- إنه مثل مأخوذ من واقعنا الذي نعيشه، وهو مثل يسلم بصحته كل عاقل ذي فطرة سليمة، فالعقلاء يقرون بعدم التسوية بين العبد وسيده، وفي هذا إشارة إلى ضرورة مراعاة حال المخاطب عند جداله وإقامة الحجة عليه.

٢- أثبت المثل عقيدة الوحدانية ونفي الشريك من خلال إثبات صفات الكمال، فالأصنام التي يعبدونها من دون الله عاجزة وهذا نقص، فلا يمكن مساواتها بالله الرزاق القادر على كل شيء، فله سبحانه صفات الكمال، والكمال لا يكون إلا لله.

٣- إن المثل قياس عقلي، يحفز العقول وينبهها إلى ضرورة التفكير والتأمل فيما تعتقد.

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٤.

(٢) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: إبراهيم سعيداي، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ) ط ١، ص ١١٨.

(٣) ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ٥/ ٤٦.

(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٣.

المثل الثاني- قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ النحل: ٧٦

يذكر الفخر الرازي أن هذا المثال في إثبات الوحدانية وإبطال الشرك، حيث يقول: «اعلم أنه تعالى أبطل قول عبدة الأوثان والأصنام بهذا المثل»[١]، فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه المقدسة ولما يعبد من دونه[٢]. وهو مثل مأخوذ من الواقع أيضا؛ وهذا أبلغ في التأثير في النفس وأقوى في إلزامها بالإذعان للحق.

فالأصنام التي لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كَلٌّ على عابدها، فيحتاج الصنم إلى أن يحمله عابده ويضعه ويقيمه ويخدمه، كيف يسوونها في العادة بالله الذي يأمر بالعدل والتوحيد وهو قادر متكلم غني، وهو على صراط مستقيم في قوله وفعله[٣]، فجعل نفي صفة الكلام موجبا لبطلان الإلهية، وهذا أمر معلوم بالفطر، والعقول السليمة والكتب السماوية تقرر أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلها ولا مدبرا ولا ربا، بل هو مذموم معيب ناقص[٤].

فهذه الآية تبين أن العالم القادر الذي يخلق ويأمر بالعدل أكمل من غيره، وأن هذا التفضيل مستقر في الفطر، والتسوية من منكرات العقول التي تنكرها القلوب بفطرتها، وهي من المقدمات البديهية المستقرة فيها، وتبين كذلك أن العادم لصفات الكمال ناقص لا يمكن أن يكون ربا ولا معبودا، وتبين أن العلم بذلك فطري مستقر في القلوب[٥].

فقد «تقرر في أوائل العقول أن الأبكم العاجز لا يكون مساويا في الفضل والشرف للناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية، فلأن يحكم بأن الجماد لا يكون مساويا لرب العالمين في المعبودية كان أولى»[٦].

ويشير الرازي هنا إلى أن هذا المثل يثبت وحدانية الله تعالى بطريق الأولى، وهي الطريقة

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠/ ٦٩.
(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٤، مدارج السالكين، ١/ ١٨.
(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ١/ ١٨، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/ ١٨٤.
(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ١/ ٢٦.
(٥) ابن تيمية، درء التعارض، ١٠/ ١٥٤- ١٥٥.
(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠/ ٦٩، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٥٠٤.

التي يعتمد عليها القرآن دائما في إثبات ما يتعلق بالرب تبارك وتعالى.

وقد وافق ابنُ تيمية الرازيَّ وأبا حيان في أن المثل يتضمن إثبات الوحدانية بطريقة الأولى، وبيان ذلك أنه إذا كان من المعلوم أن العجز عن النطق والفعل صفة نقص، فالنطق والقدرة صفة كمال، والمتكلم أكمل من غير المتكلم، وكل كمال هو في المخلوق مستفاد من الخالق، فالخالق به أحق بطريق الأولى والأحرى، ثم يؤكد أن الله تعالى مستحق لصفات الكمال من حيث هي، مع قطع النظر عن كونها ثابتة في المخلوقات؛ لامتناع النقص عليه سبحانه وتعالى بوجه من الوجوه(١).

وهذا المثل أيضا جاء بطريق الأولى في صورة قياس عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه(٢).

ومعنى هذا أنه لما انتفت المساواة في الكمال بين الرجلين؛ لأن أحدهما أبكم عاجز، والآخر متكلم قادر، كذلك يجب نفي المساواة بين الله تعالى المتكلم القادر، وبين الصنم الأبكم العاجز، فالمتكلم القادر هو الأحق بوصف الإلهية وبالعبادة.

المثل الثالث– قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨]

قال ابن عباس وغيره: بيّن الله تعالى أمر الأصنام وفساد معتقد من يشركها بالله، بضربه هذا المثل، ومعناه: أنكم أيها الناس، إذا كان لكم عبيد تملكونهم، فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ومهم أموركم، ولا في شيء على جهة استواء المنزلة(٣)، فإن كان هذا الحكم باطلا في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم؛ إذ ليس عبيدكم ملكا لكم حقيقة(٤)، مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه، بل هو في الحال مثلكم في الآدمية(٥)، فإذا كنتم أنتم لا

(١) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، ص ١٠٢.
(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٣.
(٣) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٧/ ١٦٥– ١٦٦، ابن تيمية، درء التعارض، ٧/ ٣٨٩، ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٢.
(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٢.
(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٥/ ١٠٤.

ترضون بأن المملوك يشارك مالكه لما في ذلك من النقص والظلم، فكيف ترضون ذلك لي، وأنا أحق بالكمال والغنى منكم؟[1] فإذا كان هذا الملك الناقص لا يكون المملوك فيه شريكا للمالك فكيف بالملك الحق التام لكل شيء ؟وإذا كان جعل المملوك شريكا في الملك الناقص ممتنعا يوجب الفساد، فجعل المملوك المخلوق شريكا لمالكه الخالق أولى بالامتناع ولزوم الفساد[2].

وهذا يبين أنه تعالى أحق بكل كمال من كل أحد، فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحق بثبوته منه إذا كان مجردا عن النقص، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص وعيب فالخالق أولى بتنزيهه عنه[3].

ثم ختم الله الآية بقوله: «كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»، أي: نبينها بالدلائل والبراهين القطعية والأمثلة والمحاكيات الإقناعية لقوم يعقلون، يعني لا يخفى الأمر بعد ذلك إلا على من لا يكون له عقل[4].

ونلاحظ في هذا المثل أمرين:

الأول– أنه جاء بطريق الأولى، وهي الطريق التي سلكها السلف والأئمة؛ اقتداء بالقرآن والسنة، فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص ينزه عنه المخلوق، فالخالق أولى أن ينزه عنه[5].

الثاني– أن الله تعالى احتج على نفي ما يثبتونه له من الشريك بأنهم ينزهون أنفسهم عن ذلك؛ لأنه نقص وعيب عندهم[6]، ومخالف للعقول أيضا، فاحتج الله عليهم بما قبح في عقولهم، وهذا يبين أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقر في العقول والفطر والسمع، ولذا نبه العقول وأرشدها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك[7].

الثالث– أن هذا المثل منتزع مأخوذ من أنفسهم؛ فإنها أقرب شيء منهم، وأبين من غيرها

(١) ابن تيمية، مجموعة الرسائل، ٥ / ٤٧ .
(٢) ابن تيمية، درء التعارض، ٧/ ٣٩٢، ٣٩٠.
(٣) ابن تيمية، مجموعة الرسائل، ٥ / ٤٧– ٤٨ .
(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٥/ ١٠٤.
(٥) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، ص ١١٧، بيان تلبيس الجهمية، ٢/ ٣٤٩ .
(٦) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ٥ / ٨٠.
(٧) ابن القيم، مدارج السالكين، ١/ ٢٤٠.

عند أصحابها، فإذا ضرب لهم المثل بها في بطلان الشرك، كان أظهر دلالة وأعظم وضوحا[(١)].

وهذا الأمر يزيد المثل قوة وإقناعا، فهذا المثل من أروع الأمثال على إثبات الوحدانية ونفي الشريك عن الله تعالى، وتتضح روعته وعظمته وإقناعه بأنه قياس مبني على حجة يعرف المشركون صحتها من نفوسهم لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها[(٢)].

ويلاحظ على الأمثال السابقة أنها مبنية على طريق الأولى؛ ولوضوح هذه الطريق وقوة إقناعها، كانت الأمثال المستعملة في جانب الربوبية في الكتاب والسنة وكلام العلماء هي من باب الأولى، وهو أن ينزه بعض خلقه عن بعض النقص كالشريك والفقر، فيقال الله أحق بهذا التنزيه عن ذلك، أو يوصف بعض خلقه بصفة كمال كالعلم والقدرة والكلام فيقال الله أحق بذلك، وهذه طريقة الأنبياء وأتباعهم[(٣)].

المثل الرابع– قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمَنْ يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئا، فلو علَموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء[(٤)].

ونلاحظ هنا أن هذا المثل مبني على حالة من الواقع المشاهد، يدرك حقيقتها كل ذي بصر وبصيرة، فذو البصر يرى بعينه ضعف بيت العنكبوت ووهنه، وذو البصيرة يدرك بعقله ضعف الاعتماد عليه والاحتماء به والركون إليه، فكذا الأصنام المعبودة من دون الله يدرك الإنسان السليم العقل والحواس بعقله وحسه وبصره أنها ضعيفة، فلا يصح اتخاذها آلهة من دون الله.

(١) الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٢٥٧.
(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٨٢.
(٣) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ٤/ ١٥٧.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦/ ٢٧٩.

إثبات بشرية عيسى عليه السلام

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾[آل عمران: ٥٩]

أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت عند حضور وفد نجران إلى الرسول (ﷺ) وكان من جملة شبههم أن قالوا: يا محمد، لما سلمت أنه لا أب له من البشر، وجب أن يكون أبوه هو الله تعالى، فقال: إن آدم ما كان له أب ولا أم، ولم يلزم أن يكون ابنا لله تعالى، فكذا القول في عيسى عليه السلام. وأيضا إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم، بل هذا أقرب إلى العقل؛ فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس(١).

وهذا المثل قد بُنِي على قياس الأولى أيضا، ومؤداه: أن الذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى بكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادًا(٢)، وهذه حجة ظاهرة(٣).

ويرى ابن القيم أن طريق الأولى هنا جاء في صورة قياس العلة، فالله تعالى أخبر أن عيسى نظير آدم في التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعا لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجود عيسى من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم، ووجود حواء من غير أم، فآدم وعيسى نظيران يجمعهما المعنى الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به(٤).

ويمكن أن نستنبط من الأمثال السابقة على إثبات الوحدانية ونفي الشريك عن الله تعالى ما يلي:

١- اعتمد القرآن في إثبات وحدانية الله تعالى على ضرب الأمثال؛ لأن لها وقعا في النفوس، وتأثيرا في العقول والقلوب والفطر النقية السليمة.

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٨/ ٦٦، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٦٦٩.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٤٩، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣/ ١١١
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ٨/ ٤٢.
(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٥٢.

٢– إن أمثال القرآن السابقة مبنية ومؤسسة على الواقع ومأخوذة منه ومن أحوال النفس، فالناس –في واقعهم– لا يرضون إشراك من هم دونهم في المنزلة معهم ومساواتهم بهم، مع اشتراكهم في الإنسانية.

٣– إن هذه الأمثال جاءت في صورة قياس عقلي بطريق الأولى.

٤– الغاية من ضرب هذه الأمثال تنبيه العقول إلى ضرورة التأمل والاعتبار فيما يجب أن تعتقد به، فلا يصح من العقلاء الإيمان بما يخالف العقول والفطر السليمة.

المبحث الثالث

أثر الأمثال العقلية في إثبات عقيدة المعاد

الإيمانُ بالمعادِ مما دَلَّ عليه الكتابُ والسنةُ، والعقلُ والفطرةُ السليمةُ. فأخبرَ الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورَدَّ على المنكرين في غالب سور القرآن[1].

فالقرآن الكريم قد عني عناية كبيرة بالحديث عن عقيدة البعث والمعاد، وصرح في غير موضع صحة وقوعه، وأقسم على ذلك فقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ التغابن: ٧؛ وذلك تأكيدا للحكمة الإلهية من الخلق ونفيا للعبث، فقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٥.

وقد أثارت بعض الطوائف الجدل حول إمكان وقوع البعث والمعاد، لا سيما الملاحدة والفلاسفة وتمسكوا بشبه واهية، فأما الملاحدة فتعود شبههم كلها إلى ما ينفي علم الرب تعالى أو قدرته أو مشيئته أو حكمته،وأما الفلاسفة المنكرون للمعاد فعمدتهم في إنكاره اعتقادهم قدم العالم، وأن الفاعل علة تامة موجبة بالذات لا يختلف فعلها، فلا يجوز أن يتغير العالم لأجل ذلك، وكلامهم يتضمن أيضا نفي قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته[2].

وقد ضمَّن الله تعالى كتابه من الأدلة والأمثال العقلية في أمر المعاد ما هو بين لعامة

---

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ٣٣٩.

(٢) ابن تيمية، درء التعارض، ٧/ ٣٨٤.

العباد[١]، وذكر فيه من دلائل المعاد وبراهينه ما لا يقدر أحد على أن يأتي بقريب منه، وبيّن فيه من أصناف الحجج ما ينتفع به عامة الخلق، فإنه سبحانه دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريقين: **الأولى- الوجود والعيان**، فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده، وقد ذكر الله تعالى في كتابه ما أحياه من الموتى في غير كثير من المواضع. **الثانية- طريق البرهان والاعتبار والقياس بطريق الأولى**، فإنه سبحانه يستدل على ذلك تارة بخلق النبات ويبين أن قدرته على إحياء الموتى كقدرته على إنبات النبات، وتارة يستدل على ذلك بخلق الحيوان نفسه وأن قدرته على الإعادة كقدرته على الابتداء وأولى، وتارة يبين ذلك بقدرته على خلق السماوات والأرض[٢].

وهذه الطريق الثانية هي موضع اهتمام بحثنا، فإنها طريقة مبنية في معظمها على الأمثال، ومن الأمثال القرآنية في هذا الشأن:

المثل الأول- قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧ ﴾ الأعراف: ٥٧

المثل الثاني- قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾ فاطر: ٩

المثل الثالث- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ ﴾ الزخرف: ١١.

المثل الرابع- قوله تعالى: ﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴾ ق: ١١

المثل الخامس- قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ فصلت: ٣٩

ومجمل هذه الأمثال القرآنية الخمسة أنه كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها، كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها رَمِيمًا يوم القيامة[٣]، فأخبر سبحانه أنهما إحياءان، وأن أحدهما

(١) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ٢/ ١٣٥.

(٢) ابن تيمية، درء التعارض، ٧/ ٣٧٧- ٣٧٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٣٠، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٣٩١.

معتبر بالآخر مقيس عليه[١]، فكيف تنكرون المعاد والبعث، وقد شاهدتم غير مرة ما هو مثله وشبيهه به[٢] (إحياء الأرض بعد موتها).

فيجب على العباد أن يتذكروا بإخراج الثمرات وإنشائها خروجَهم للبعث؛ إذ الإخراجات سواء، فهذا الإخراج المشاهد (إخراج الثمرات) نظير الإخراج الموعود به(بعث الأجساد)[٣]. فدل بالنظير على النظير، وقرب أحدهما من الآخر جدا بلفظ الإخراج أي يخرجون من الأرض أحياء كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي[٤].

وهنا استدلال على إمكان المعاد وصدق حدوثه ووقوعه بعملية إحياء الأرض وإخراج الثمرات منها، وكثيرا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها[٥].

فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة[٦].

فكأن الله سبحانه يقول لهؤلاء الجاحدين المنكرين إمكان البعث والمعاد، انظروا نظر عقل وتبصر وتدبر وتأمل في الواقع المشاهد أمامكم وفيما تجربونه كل يوم من عملية الزرع والإنبات التي ترونها بأعينكم، فالإنبات يحدث بإنزال المطر وهذا نوع من الإحياء، ويحدث كذلك بسقي الأرض وريها من خلالكم فتنبت بإذن الله، وهذا إحياء أيضا، فالقادر على إحياء الأرض الميتة بإنبات الزرع فيها وإثمارها، قادر على بعثكم وإعادتكم، وهذا النوع من الأمثال من أشدها تأثيرا في النفوس الراغبة في الوصول إلى الحق والانقياد له.

والاعتماد على المشاهدات إحدى الطرق المقبولة اليقينية في الاستدلال والبرهنة والاحتجاج عند جميع العقلاء؛ ولذا فهي حجة قوية ملزمة للجاحد المخالف، وحجة يقينية للمؤمن تساعده في ترسيخ إيمانه وتثبيته؛ فإن «المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٥٨.
(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٣٩١.
(٣) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٤/ ٣٢١.
(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٥٧- ٢٥٨.
(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦/ ٥٣٦، ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص ٣٦٦.
(٦) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٥٧.

الخبر»[١].

والأمثال السابقة جاءت في صورة قياس الدلالة الذي يجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها، فهو قياس إحياء على إحياء واعتبار الشيء بنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة[٢].

ونلاحظ في جميع الأمثال السابقة ضرب المثل على بعث الإنسان بإنبات الزرع، وهو تمثيل قائم على الجمع بين شيئين مختلفين، وهنا لطيفة مهمة أشار إليها الجرجاني لبيان قوة أثر هذا النوع من التمثيل، ملخصها أن التمثيل لا يقع به الاعتداد ولا يكون له موقع من السامعين حتى يكون مقررا بين شيئين مختلفين في الجنس، وكلما كان التباعد بين الشيئين أشد، كان التمثيل إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس له أطرب[٣].

(١) أسرار البلاغة، ص ١٢٦.
(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٥٧.
(٣) أسرار البلاغة، ص ١٢٩- ١٣٠.

الخاتمة

من أبرز النتائج التي توصلت إليها بعد هذه الرحلة الطيبة مع الأمثال القرآنية:

١. أن القرآن الكريم قد استخدم كل وسائل الإقناع والبيان لتوضيح أصوله وشرائعه، ومن هذه الوسائل الإقناعية ضرب الأمثال العقلية.
٢. لم يكن غرض القرآن الكريم من ضرب الأمثال مجرد السرد والحكاية، بل جاءت للتذكير والوعظ والاعتبار والبيان وتصوير الأمور بصور حسية.
٣. الأمثال المضروبة في القرآن الكريم هي في حقيقتها مقاييس عقلية إقناعية، يُعلم صحتُها من طريق العقل بالإضافة إلى كونها أدلة شرعية، وهذا من وجوه الإعجاز في القرآن.
٤. تعددت مجالات ضرب الأمثال في القرآن الكريم، وكان من أبرزها ضربُ الأمثال على العقائد الإيمانية التي هي أصول الدين وأساسه، مثل: التوحيد والنبوة والمعاد (البعث).
٥. جاءت أمثال القرآن الكريم في إثبات الوحدانية والمعاد في صورة قياس الأَوْلَى، وهو أكمل البراهين العقلية الشرعية وأقواها أثرا.
٦. استخدم القرآن الكريم في إثبات الوحدانية الأمثال التي يعرف الإنسان صحتها وصدقها من واقع حياته، فهي منتزعة ومأخوذة من نفس الإنسان، مقررة عندها معلومة لها، وهذا من أبلغ الحجج وأظهرها في الدلالة على التوحيد وبطلان الشرك.
٧. اعتمد القرآن الكريم في إثبات المعاد على الأمثال المأخوذة من الواقع المشاهد للإنسان، فضَرَبَ اللهُ المثلَ على صدق البعث بما يراه الإنسان من إحياء الأرض الميتة، وهذا أبلغ وأوقع في النفس، وله شأن عظيم في ترسيخ الإيمان في النفوس.
٨. راعى القرآن الكريم في ضرب الأمثال السابقة أحوال المخاطبين، فكانت أمثاله واقعية محسوسة مجربة، وهذا ما ينبغي أن يسلكه الدعاة إلى الله في مجادلة المخالفين من ضرورة مراعاة أحوالهم عند الجدل، باختيار المناهج والطرق والأساليب المناسبة في الإقناع.

المصادر والمراجع

البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٤١٠ه). *شعب الإيمان* (محمد السعيد بسيوني، تحقيق). دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤١١هـ). *درء تعارض العقل والنقل* (ط.٢) (الدكتور محمد رشاد سالم، تحقيق). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية، تقي الدين الحراني. (١٤١٤هـ). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح* (د.علي حسن ناصر، وآخرين، تحقيق). دار العاصمة.

ابن تيمية، تقي الدين الحراني. (١٤١٥ه). *شرح العقيدة الأصفهانية* (إبراهيم سعيداي، تحقيق). مكتبة الرشد.

ابن تيمية، تقي الدين الحراني. (١٤٢٦ه). *بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية* (د. رشيد حسن، تحقيق). مجمع الملك فهد.

ابن تيمية، تقي الدين الحراني. (١٤٢٦هـ). *الرد على المنطقيين* (حققه: الشيخ عبد الصمد الكتبي، راجعه: محمد طلحة، قدم له: د. سيد سليمان الندوي). مؤسسة الريان.

ابن تيمية، تقي الدين الحراني. (د.ت). *مجموعة الرسائل والمسائل* (السيد محمد رشيد رضا، تعليق). لجنة التراث العربي.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن.(د.ت). *أسرار البلاغة* (أبو فهر محمود محمد شاكر، قراءة وتعليق). مطبعة المدني.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف.(١٤٢٢هـ). *تفسير البحر المحيط* (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، تحقيق). دار الكتب العلمية.

الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢١هـ). *مفاتيح الغيب*. دار الكتب العلمية.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (د.ت). *المفردات في غريب القرآن*. مكتبة نزار مصطفى الباز.

الزركشي، محمد بن بهادر. (د.ت). *البرهان في علوم القرآن* (محمد أبو الفضل إبراهيم،

تحقيق). مكتبة دار التراث.

الزمخشري، محمود بن عمر. (د.ت). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (عبد الرزاق المهدي، تحقيق). دار إحياء التراث العربي.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٣٩٤ه). *الإتقان في علوم القرآن* (محمد أبو الفضل إبراهيم، تحقيق). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشافعي، محمد بن إدريس. (١٣٥٧هـ). *الرسالة* (أحمد محمد شاكر، تحقيق وشرح). مصطفى البابي الحلبي وأولاد.

الشوكاني، محمد بن علي. (١٤١٤ه). *فتح القدير*. دار الكلم الطيب.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (١٤٢٠هـ). *التحرير والتنوير*. مؤسسة التاريخ العربي.

عبد الرازق، مصطفى. (٢٠١١). *تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية* (محمد حلمي، تقديم). دار الكتاب المصري.

ابن أبي العز الحنفي، علي بن علاء. (د.ت). *شرح الطحاوية في العقيدة السلفية* (أحمد محمد شاكر، تحقيق). دار التراث.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٣٩٣هـ). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين* (ط.٢) (محمد حامد الفقي، تحقيق). دار الكتاب العربي.

ابن القيم. (١٤٢٣هـ). *إعلام الموقعين عن رب العالمين* (قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله). دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٤٢٠هـ). *تفسير القرآن العظيم* (ط.٢) (سامي بن محمد سلامة، تحقيق). دار طيبة للنشر والتوزيع.

الماوردي، علي بن محمد. (١٤٠٥هـ). *أدب الدنيا والدين* (ط.٤) (محمد كريم راجح، شرح وتعليق). دار اقرأ.

محمد، عبده. (٢٠٠٠). *رسالة التوحيد* (د/ عاطف العراقي، تصدير). الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت.). *لسان العرب*. دار صادر.

النورسي، بديع الزمان سعيد. (٢٠٠٢). *إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز* (ط.٣) (إحسان قاسم الصالحي، تحقيق). دار سوزلر.

JOURNAL OF SHARIA AND ISLAMIC STUDIES

A refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Intellectual Parables in The Holy Qur'an and Their Impact On Proving Religious Beliefs

Dr. Hamada Mohammad Salman
Faculty of Dar Al Uloom
Fayoum University

Academic
Publication Council



جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

Volume 39- Issue No.136

shaaban: 1445 A.H. Mar, 2024